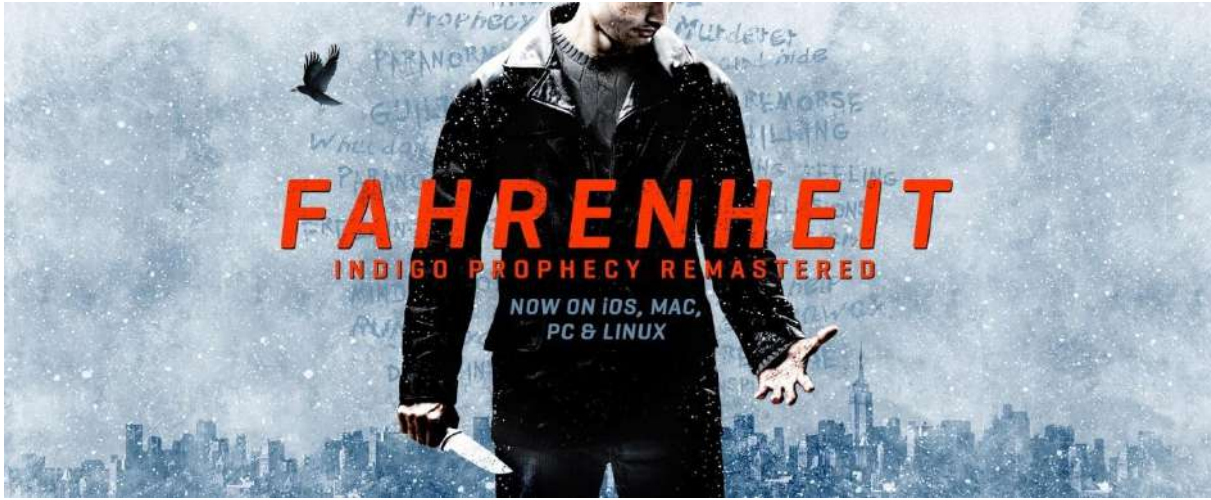


هوليوود والسياسة (فيلم فهرنهايت 9/11 لمايكل مور أنموذجا)

مراح مراد

جامعة وهران 1-أحمد بن بلة



عار عليك سيد بوش... هكذا يصرخ مايكل مور عند تتوجيه بالسعفة الذهبية، هل كان فيلمه فريننهايت وثائقيا تسجيليا، أم سينمائيا سياسيا، أكيد كان سياسيا بامتياز، فمايكل مور كان معارضا شديدا لبوش وسياسته الخارجية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر .

من كان يظن أن فيلما وثائقيا سياسيا يمكن أن يجذب الملايين حول العالم ليختاروا مشاهدته بدلا من مشاهدة أي من الأفلام الهوليوودية الأخرى التي تعج بالإثارة والخدع السينمائية وسحر النجوم؟

الجواب حسب ما يبدو أصبح ممكنا عندما أصبح بطل الفيلم الرجل الذي شغل الناس منذ 11 سبتمبر: جورج بوش، والأبطال الآخرون: أسامة بن لادن، ديك تشيني، رامسفيلد، كوندليزا رايس، وأخيرا صدام حسين. في فيلم "فهرنهايت 9/11"، استطاع مايكل مور، المخرج المثير للجدل والإعجاب في آن واحد، أن يضم صورا حقيقية منتقاة بعناية باللغة لهؤلاء الأبطال السياسيين، تقدمهم بشكل كاريكاتوري مثير للسخرية والضحك والكراهية

أحيانا، مع عدد من النظريات السياسية التي تزيد من السخرية والضحك والكراهية. أهم هذه النظريات المطروحة في الفيلم: بوش لم يفز بالانتخابات بشكل عادل بل كان آل جور هو الفائز الحقيقي، ولكن فسادا هائلا في جهاز الانتخابات سمح لبوش بالفوز، جورج بوش كان رئيسا بليدا في أشهر الحكم الأولى ولم ينقذه إلا أحداث 11 سبتمبر، وبالرغم من كل التحذيرات، لم يتخذ بوش أي إجراءات لمواجهة خطر الإرهاب والمهجوم على أمريكا، وأخيرا لم يهتم بوش كثيرا بالانتصار على بن لادن، بقدر ما اتخذ الحرب على أفغانستان، كذريعة لشن حرب ظلمة على العراق، بدوافع البترول ومساعدة شركات النفط والسلاح التي يرتبط بها هو وأبوه الرئيس جورج بوش ونائبه ديك تشيني.

فيلم مايكل مور يعتبر الأول من نوعه ليس فقط لأنه فيلم وثائقي خالي من التمثيل والخدع السينمائية، حقق انتشارا عالميا رغم اهتمامه السياسي البحت، ولكنه لأنه الأول من نوعه الذي يعتمد على نظريات سياسية ضعيفة الانتشار ويصل لقنوات "الثقافة الشعبية" في أمريكا

والعالم. ولأشرح هذا أوضح أن النظريات السياسية التي قدمها مايكل مور موجودة في أمريكا، ولكنها مقدمة فقط في صحف يسارية قليلة الانتشار، وفي كتب يباع منها الآلاف فقط، ومن النادر أن تجد لها أي موطئ قدم على شاشات التلفزيون، وهذه النظريات تسمى في أمريكا بـ "السياسة البديلة" أو "Alternative Politics" لأنها تمثل بديلاً للأفكار السياسية الشائعة في القنوات الإعلامية، وهذه النظريات تندرج من اعتبار حروب أمريكا حروباً ظالمة إلى أن تصل لإنكار الهولوكست والإيمان المطلق بنظرية المؤامرة. فيلم مايكل مور هو أول عمل "شعبي" يقدم هذه الأفكار لعموم الجمهور وعبر أخطر وسيلة وأكثرها تأثيراً: السينما.

هذا هو السبب الذي جعل بعض خبراء الشؤون السياسية يعتبرون الفيلم منعطفاً تاريخياً لأن الفيلم السياسي السينمائي، في حالة فيلم فنهراثيت 11/9، صار مفصلاً مؤثراً في السياسة الداخلية الأمريكية، وقد ينتج بسببه أفلاماً سينمائية أخرى تدعم أفكاراً أخرى، وخاصة في أعوام الانتخابات. (1)

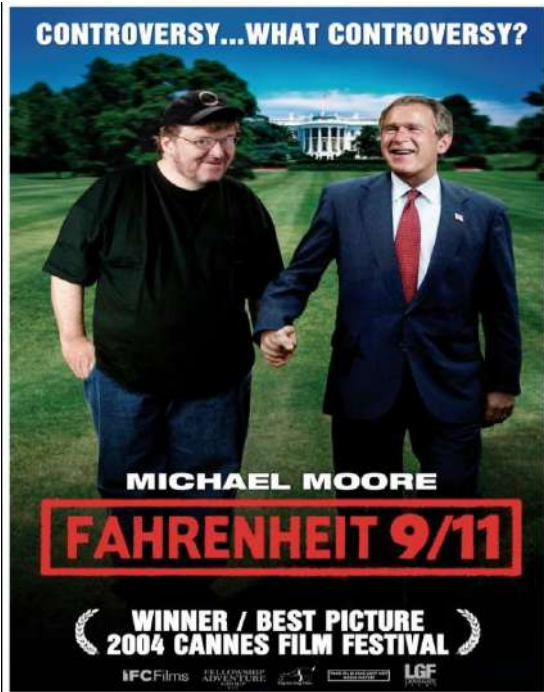
الفيلم التسجيلي :

يعتمد نجاح أي فيلم تسجيلي على مصداقية المعلومات الواردة فيه، هذا ناهيك عن التقنيات الفنية المتعارف عليها والتي تدخل في صميم صناعة الفيلم السينمائي. ويبدو أن مايكل مور لا يريد أن يتخلص من ديدنه المعهود في تضليل المتلقين، فقد اعتمد كما في أسلوبه السابق الذي يتكئ على التهكم، والسخرية اللاذعة، والتجريح الشخصي، وبعض المواقف التراجيكية، إضافة إلى ولعه المعهود بالبحث عن الفضائح، وتقديمها إلى المشاهد على علاقتها من دون تدقيق أو غرلة أو تمحيص. الشيء الوحيد الذي خدمه في هذا

الفيلم هو أن ظهوره لم يتكرر كثيراً كما في أفلامه السابقة، وقد اكتفى بدور الراوي الملفق، والظهور في بعض المواقف الملحة التي تستدعي حضوره لكي يُخرج هذا السيناتور أو ذاك، ويقتنص المفارقات التي تفند آراء الأشخاص المستجوبين الذين يحاورهم. لا نستطيع الوقوف عند كل المغالطات والمواقف المضللة التي ركز عليها مور، وجعلها محور فيلمه التسجيلي الذي أوحى إلينا من خلاله وكأن هناك عداءً شخصياً مُستحكماً، وتصفية حسابات مريرة بينه وبين الرئيس جورج دبليو بوش الذي نصحه بطريقة مهينة "إذهب وجد لك عملاً حقيقياً" وكأن السينما هي تزجية للوقت، وأن العمل الفني هو عبث لا طائل من ورائه. (2)

الفيلم الوثائقي هو نتيجة تحصيل مهني جراء تراكمات الممارسة التصويرية في معادلة مفادها:

مخرج + كاميرا + مسجل صوت = فيلم. وهذا الفيلم يكون تسجيلاً لما يلتقطه المخرج وينسقه بدون اللجوء إلى الرواية، (الوثائقي هو نوع سينماتوغرافي، يهتم بأخذ لقطات تُعتبر كوثائق، ويكون مطابقاً للحقيقة، وإعادة عرضها على الشاشة) (3) هذا الصنف السينمائي هو نوع تلفزيوني أيضاً كما هو مؤسساقي إضافة إلى أنه نوع مسرحي : (أول من استخدم تعبير مسرح وثائقي أو تسجيلي هو الناقد جون جريريسون Jerison . J الذي وُصف هذا الشكل بأنه مُعالجة إبداعية لحقائق الواقع) (4) الواقع مادة كل الأنواع والأصناف المُصورة سواء كانت روائية أو تسجيلية، والفيلم الذي يصور الواقع يُعد حسب النقاد فيلماً وثائقياً (وكلمة documentary مأخوذة من التعبير الفرنسي documentiare [الوثائقي] باعتباره المعالجة الفنية الخلاقة للواقع) (5).



هوليوود والسياسة:

يجد المتابع أن هوليوود جاءت على رأس أولويات الإدارة الأمريكية بعد وقوع الكارثة بأقل من شهر واحد، حيث كوَّنت لجنة من 40 خبيراً فنياً لدراسة سبل توظيف صناعة السينما لدعم الحرب على الإرهاب. ورغم استعداد الإدارة الأمريكية مبكراً لتطويع صناعة السينما من أجل خدمة أهدافها، فاجأ المخرج الأمريكي الشهير "مايكل مور" الجميع بضربته السياسية "فهرنهايت 11/9" الذي يعدّ أول تجربة هوليوودية تتعرض للهجمات.

ولكن على عكس ما تمناه البيت الأبيض تناول الفيلم الحدث من منظور مختلف ومضاد للرواية الرسمية، وأثار ضجة واسعة وواجه مخرجه لأجله العديد من المصاعب والعقبات المالية والإنتاجية حتى استطاع التوصل لاتفاق مع إحدى شركات التسويق السينمائي لتوزيعه. وفي فيلمه يربط "مور" بين العائلة الحاكمة السعودية وعائلة بن لادن وعائلة بوش على أنهم المستفيدون من وراء الهجمات.⁽⁶⁾

ملخص الافكار السياسية التي جاء بها الفيلم:

تطرق المخرج مايكل مور في الفيلم الذي مدته 122 دقيقة للأفكار والقضايا التالية:

1- تزوير انتخابات عام 2000 م في ولاية فلوريدا وذلك أثناء الانتخابات الأمريكية للرئاسة.

2- جلسات مجلس النواب الأمريكي، اعتراض النواب على مجريات الانتخابات وحالات الشطب والتزوير المتعمد، قرار المحكمة العليا الأمريكية بتعيين جورج دبليو بوش رئيساً للبلاد.

3- مراسم تنصيب الرئيس بوش، موكب الاحتفال الذي تم قطعه خوفاً من أعمال شغب أكبر، وإلغاء مراسم المشية التقليدية الرسمية.

4- فشل بوش كمنظم ورئيس حقيقي للبلاد في الثمانية الأشهر الأولى لولايته، وتفضيل الرئيس ترك مقر الرئاسة وقضائه معظم وقته في العطلات والإجازات.

12- شركة محاماة جيمس بيكر تتولى مهمة الدفاع في القضايا التي رفعتها عائلات الضحايا لأحداث 11 سبتمبر.

13- السفارة السعودية في الولايات المتحدة الأمريكية تحت حماية مكتب الاستخبارات الأمريكية.

14- الهجوم على أفغانستان بعد 4 أسابيع من 9/11 وعلى مخبأ أسامة بن لادن بعد شهرين من 9/11.

15- الاهتمام بالنفط، خط أنابيب الغاز الطبيعي المار بأفغانستان والممتد من بحر قزوين لغاية سواحل باكستان، ورسو صفقة الحفر في بحر قزوين على شركة هالبرتونالتي يرأسها ديك تشيني.

16- زيارة وفد قادة طالبان لتكساس عندما كان بوش حاكماً لها عام 1991 م ولقاءهم مع شركة يونوكال، وزيارة سيد رحمة الله الهاشمي الوزير الطالباني لأمريكا في مارس 2001 م.

17- تنصيب حامد كرزاي المستشار السابق لشركة يونوكال رئيساً على أفغانستان، وتعيين زلماي خليل زاد المستشار السابق لشركة يونوكال كمبعوث الحكومة الأمريكية لأفغانستان.

18- أسامة بن لادن لم يعد مركز الاهتمام الأمريكي، وبداية سيناريوهات الحرب على الإرهاب.

19- سيناريوهات التهديد التي أطلقت في جميع أنحاء أمريكا: التهديد الإرهابي في أي مكان، وكل منطقة يمكن أن تكون مستهدفة.

5- مشاهد من أحداث 11 سبتمبر 2001، الأسى، الحزن، الملع، الموتى والخراب.

6- وصول خبر أول ضربات 9/11 لمسامع بوش وهو في طريقه لزيارة إحدى المدارس الابتدائية في ولاية فلوريدا ولكن بوش لا يحرك ساكناً بل قرر المضي في زيارته.

7- وصول خبر الضربة الثانية لمسامع بوش ولكنه يفضل البقاء في المدرسة ويذهب إلى قراءة قصة مع تلاميذ المدرسة الابتدائية التي كان يزورها.

8- خروج وسفر 142 سعودياً بينهم 24 من آل بن لادن من الأراضي الأمريكية بالرغم من فرض حظر صارم على الطيران الأمريكي.

8- آل بن لادن وأسامة بن لادن، مقابلة الأمير بندر بن سلطان سفير المملكة العربية السعودية لأمريكا مع لاري كينغ في برنامجه على قناة السي إن إن.

9- السجلات العسكرية لبوش، وتفسير شطب اسم صديقه جيمس آر باث منها.

10- عائلة بوش وآل بن لادن، والاستثمارات السعودية في الولايات المتحدة الأمريكية مرتفعة للغاية وتصل إلى 860 مليار دولار أمريكي منها 1.4 مليار مدفوعات لبوش وأصدقائه ومعاونيه.

11- عرقلة التحقيقات التي تقوم بها الجهات السياسية المختلفة والجهات المستقلة بما يخص أحداث 11 سبتمبر 2001.

28-واقع الحرب، الضحايا الأبرياء، القتلى من المدنيين، الأطفال، الجنود الشباب، موسيقى الروك في الحرب.

29-أسباب الحرب، وتصريحات الحكومة الأمريكية بامتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل والأسلحة الكيماوية.

30-تشكيل ائتلاف أصحاب النية في نزاع أسلحة العراق برئاسة أمريكا.

31-التغطية الأمريكية لوقائع الحرب والتعقيم الإعلامي المرافق لإصابات جنودها.

32-التعذيب، التمثيل بالجثث، عمليات اختطاف الأجانب، نقص في عديد القوات الأمريكية.

33-تجنيد الجنود في الأحياء الفقيرة في الولايات المتحدة الأمريكية باعتبار أن الجيش هو خيارهم الوحيد للعيش والاستمرار.

34-مقابلة مع ليلا ليسكومب أم أحد الجنود والتي ستفقد ابنها في وقت لاحق من الفيلم، التطوع في الجيش خيار ممتاز لسكان بلدة فلنت.

35-مقابلات مع شبان أمريكيان يرون التطوع حلا لمشاكلهم، طرق التجنيد المتبعة سواء عن طريق إعلانات التطوع أو عن طريق المندوبين الذين يجولون الشوارع سعياً وراء تطوع الشبان.

36-عشية الميلاد في العراق وحيثيات احتفال الجنود بالعيد.

20-الهلل الذي عم أمريكا نتيجة الأخبار التي نشرتها وسائل الإعلام والتي تتحدث عن احتمالية تعرض أمريكا لهجمات إرهابية جديدة قبيل العيد.

21-سيناريوهات التهديد التي أطلقت في جميع أنحاء أمريكا: التهديد الإرهابي في أي مكان وكل منطقة يمكن أن تكون مستهدفة.

22-قانون باتريوت آكت الأمريكي: مراقبة كاملة وشاملة على الشعب وعلى أمورهم وسجلاتهم الشخصية.

23-موافقة الكونغرس الأمريكي على قانون باتريوت آكت من دون قراءة ما جاء فيه، تطوع مايكل لقراءته لهم بينما يجول منطقة مبنى الكونغرس بإحدى حافلات بيع الآيس كريم.

24-قصص أمن المطار وقصة الصغير باتريك هاملتون وأمه التي اضطرت لشرب 2 أونصة من حليب صدرها الذي كانت قد عبأته خصيصاً لإرضاع صغيرها منه لأن موظفة أمن المطار خافت من أن يكون الموجود في الزجاجاة خطراً على ركاب الطائرة.

25-تخفيضات الميزانية وما سببه من نقص في عدد مراكز الشرطة المنتشرة في البلاد.

26-أسامة بن لادن لم يعد مركز الاهتمام الأمريكي، والعمل على ربط العراق بتنظيم القاعدة، وجود أسلحة دمار شامل في العراق.

27-بدء الهجوم على العراق في 19 مارس 2003

45- مايكل مور في كابيتول هيل يحاول أن يرى كم عضوا من أعضاء الكونغرس الأمريكي سيستطيع إقناعهم بتجنيد وإرسال أحد أبنائهم إلى العراق.

46- مقارنة بين الحرب على الإرهاب والحرب الأبدية لجورج أورويل عام 1984 م.⁽⁷⁾



الهوامش:

(1) ينظر: عمار بكار، فهرنهايت 11/9 قصة الانتقام من بوش ،
www.alarabiya.net/articles/2004/07/17/5050

(2) ينظر: عدنان حسين أحمد، فهرنهايت 9/11 لمايكل مور آلية التضليل عنوان مسروق ورؤية مشوهة ومعلومات تفتقر إلى الدقة والمصداقية

الحوار المتمدن، العدد: 930 - 2004 / 8 / 19،
<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=22197>

37- ليلا ليسكومب تشرح عن أحوال عائلتها والعائلات الأخرى التي أفرادها كانوا أو ما زالوا في الجيش، كرهها للمتظاهرين المناهضين للحرب لأنها تراهم يسيئون لصورة ابنها.

38- الشبان العراقيون والجنود الأمريكيين، الجنود يلعبون ويلهون بأجساد العراقيين.

39- إجراءات بوش تجاه جنوده: تخفيض الرواتب، تخفيض الإعانات لأسر الجنود، رفضه الموافقة على ميزانية تم اقتراحها لقدامى الحرب... واقع وأحوال الجنود الأمريكيين العائدون إلى الوطن.

40- ليلا ليسكومب مع زوجها وعائلتها تتحدث عن ابنها المتوفى أثناء خدمته في العراق.

41- شركة هالبرتون ومؤتمر إعادة تعمير العراق، المؤتمر يوضح للشركات الأمريكية عن الأرباح الهائلة التي ستجنيها في العراق.

42- شركة هالبرتون والتي غالبا ما تحتكر الصفقات والعقود ذات الأرباح العالية لنفسها.

43- ليلا ليسكومب وزيارتها لواشنطن، ومرورها على منطقة البيت الأبيض.

44- هناك أقلية ضئيلة جدا من أبناء النواب يخدمون في الجيش الأمريكي المتواجد في العراق، فمن أصل 535 نائبا هناك نائب واحد فقط يخدم ابنه في العراق.

(3) Documentaire, Encyclopédie Microsoft ®
Encarta ® 99, © 1993 – 1998, Microsoft
corporation, Tous droits réservés.

(4) د.ماري إلياس، د.حنان قصّاب حسن، المعجم
المسرحي، مفاهيم ومُصطلحات المسرح وفنون العرض،
عربي – انجليزي – فرنسي، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة
الأولى 1997، ص 520 .

(5) ديفيد روبنسون، تاريخ السينما العالمية، 1895 –
1980 ، ترجمة: إبراهيم قنديل، طبع بالهيئة العامة لشؤون
المطابع الأمريكية، المجلس الأعلى للثقافة 1999 .

(6) محاضرة هوليد، جامعة السعودية
[http://faculty.ksu.edu.sa /Documents](http://faculty.ksu.edu.sa/Documents)

(7) بوخوشة الياس، إستراتيجية التحكم بالرأي العام عبر
الفيلم " فهرنيت 9/11 " لمخرجه " مايكل مور " .
مقاربة سير سميوطيقية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم
الفنون دارمية جامعة وهران، 2007.